الاحلام والكابوس والسومنمبولزم

معربة بتصرف من جريدة العصر الاميركية بقلم حضرة رفعتلو اسعد افندي داغر (تابع ما قبلهُ)

السرسام

السرسام او البحران يشبه من اكثر وجوههِ الاعراض الناتجة عن المخدرات ويحاكي السكر في اغلب ظواهرهِ ولذا يترتَّب على الطبيب ان يكون غاية في الحذق والذكاء حتى يستطيع أن يُميِّز بين كون العليل مصاباً بالسرسام وكونهِ سكران. فالسرسام يحدث من اختلال في نظام دورة الدم او من نقصان في كميتهِ وعند ما يتميز هذا الداء يسهل إدراك الاسباب الباعثة عليهِ . وليس بخاف على كل من سبر بنفسهِ غور الاحلام وعانى السرسام او دقَّق النظر في مراقبتهِ ما بينهما من المشابهة من وجه أن المصاب بالسرسام كالنائم يصيح بعد ما يصحو وهو متذكر قليلاً او في نسيانٍ تامّ لكل ما ظنهُ او شعر بهِ او قالهُ او فعلهُ. والمشابهة بين السرسام والسكر لا تعدم شيئاً من وجوهها نظراً الى ان الثاني نتيجة العقاقير المتخذة ادوية وعليهِ فالامراض تولِّد في البشر سموماً كسموم السكر

الذهول

يراد بالذهول هنا شرودٌ طبيعيٌّ يعرض كثيراً للاولاد فيتعذَّر عليهم التمييز بين تصوُّراتهم والانباء الخارجيَّة لكنهُ عامٌّ في مطلق درجات العمر وهو يختلف عما يطلق عليهِ " غياب العقل " او " شتات الذهن " من وجه ان الثاني او الاخير عبارة عن تزاحم جملة من الخواطر والافكار التي تشوِّش الذهن ولا تترك فيهِ سبيلاً للمعلومات الخارجيَّة المدركة بواسطة الحواس حتى ان غائب العقل لا يعود ينظر ولا يصغي ولكنهُ بمجرد تنبيههِ بصوتٍ او حركةٍ اصغر جدًّا واضعف كثيراً مما يكفي لايقاظهِ لو كان نائماً يتخلص من ضغطة تلك الخواطر والافكار التي كانت تطاردهُ فيعود الى صحوهِ وانتباههِ. واما الذهول الذي نحن الآن في شأنهِ فيصح ان يطلق عليهِ اسم الحلم النهاري فهو ليس في شيءٍ من التعقُّل والإدراك بل حالة تكون فيها قوة التصوُّر على معظمها وفي مطلق حريتها فتسرح وتمرح على حين تكون فيها قوة الحكم بالجهد منتبهة او مراقبة. فيسيل الدمع من آماق المصاب بهِ ويلوح التبسم على شفتيهِ بل قد يسير في الشوارع الفاصة بالاقدام مزحوماً مدفوعاً ويستميل انظار الجميع اليهِ وهو غير مبالٍ بما هو فيهِ. حتى قد يتصور الانسان

نفسهُ شخصاً آخر فيلتذُّ بهذه الاستحالة ويقضي ساعةً من الزمان بل يوماً كاملاً غير شاعرٍ بذهولهِ . والمصابون بالذهول يُصبحون احياناً كثيرة من اهل السومنمبولزم بمعنى انهم يتكلمون كلاماً لا يفهمهم ساموهم انهم ينطقون بهِ في النحو التام ويلفظون ويبدون حركاتٍ مختلفة ويشيرون اشاراتٍ متنوعة حينما يحاول احد تنبيههم وارجاعهم عما هم فيهِ لاهون ولكن غير فاطنين. على ان الفرق العظيم بين الذهول والنوم الحلمي هو انتظام التنفُّس وتوقف عمل الحواس في الثاني

الموصل بين الذهول والنوم الحلمي

من الحقق ان الموصل بينهما كالخط الوهمي فحينما يضطجع الانسان للنوم تسير افكارهُ على هيئة حلميَّة قبلما ينام. قال السر هنري هولند " أُنظر الى ما بين اليقظة والنوم من الوقت تجد كيف ان التصوُّرات تجري بسرعة بعضها آخذ باعناق بعض فكأن العقل وهو مجرد عن كل انتقالٍ يمهد لهذه التصورات ان تعرض بدون قياس متخايلة امام عين الذهن فان كانت متحدة متشابهة تطول بها فسحة اليقظة حتى تأخذ في الغموض والالتباس وتُحمل من جراها على ذهولٍ فجنازهُ سريعاً الى الايغال في النوم " . والعقل المجرَّد يخلي السبيل للتصورات فتعرض عفواً لعين الفكر وحينئذٍ فان تشابهت واعتبرت شيئاً واحداً يستمرُّ صاحبها مستيقظاً حتى يلتبس عليهِ تحقُّقها ويسترخي فيهِ الانتباه فينام. وفي إمكاننا ان نتحقق ما اذا كان نائماً ونحاول ايقاظ افكارهِ لاجل الوقوف عليها ولكنهُ يعود الى حالهِ الاولى حالاً فيسقط رأسهُ وتنقطع حواسهُ عن الشعور حتى ان من يقضي آخر ساعة من المساء بالذهول في غرفة مظلمةٍ لا يتغير حالهُ كثيراً قبلما يستغرق في النوم ولا تبرح التصورات جاريةً مجراها بينما يكون الجسد هاجعاً مستكنّاً حتى تسكن حركة الدماغ وينتهي اثر القوة المنومة في مجموع الحواس الى حدٍّ غير معلوم . ويغلب ان يخرج النائم من حلمهِ الى يقظةٍ يدرك فيها الزمان والمكان ثم يرجع الى حلمهِ فينام ويصل العلاقة التي كان قد قطعها عند استيقاظهِ . والاغلب في ذلك انهُ اذا عاد الى الحلم نفسهِ يستبدل صورتهُ بصورة اخرى

فما سبق معنا من القياس والتمثيل نستنتج ان الاحلام ظواهر فكريَّة متوقفة على تغيرات الدورة الدموية وحالة الدماغ والمجموع العصبي . وتلك الظواهر عند تجليها تكون قوى العقل الكبرى من مثل قوة الحكم والشعور والارادة ممنوعة عن اجراء افعالها العادية وتكون الحواس معوقة عن تبليغ الحوادث الخارجيَّة التي يقاس بها الوقت

وتدرك علاقتهُ بينما تكون قوة التصور والغرائز الحيوانيَّة متأثرة تأثيرًا زهيدًا وان التصورات الحلميَّة نتيجة ما هو مذخورٌ في الذهن من الشعور والاختبار والافكار

وينتج مما تقدم. اولاً انهُ لا دليل البتة على ان الاطفال تحلم. قال ارسطو ينام الانسان اكثر من كل الحيوانات والاطفال والاولاد الصغار لا يحلمون البتة . ولا يبتدىء الحلم قبل السنة الخامسة من العمر. وخالفهُ بلميني وقال ان الاطفال يحلمون وذلك اولاً لانهم يستيقظون حالاً وعليهم شارة الخوف والذعر وثانيًا لانهم وهم نائمون يمثلون الرضاعة. على ان كلاً من هذين الدليلين ساقط لا يعتدُّ بهِ اما الاول فيردعليهِ بان المخض المعرَّض لهُ الاولاد على الخصوص يبعث على ايقاظهم واذ إنَّ الطفل لا يصير موضوعًا قابل الخوف والانذعار الخارجيين قبل بلوغهِ نحوًا من نصف سنة فتلك الشارة التي تظهر عليهِ عند استيقاظهِ انما هي عن ألم لا عن خوف . اما تمثيلهُ الرضاعة في نومهِ فذلك غريزيٌّ فيهِ وهو يفعلهُ مستيقظًا ايضًا وحين لا يكون بعدُ على الاطلاق ادنى علاقة بين عقلهِ وعملهِ هذا. فحالة الطفل تكون تمامًا حسب مقامهِ في التعقل التدريجي

ثانيًا ان الحيوانات تحلم. قال ارسطو ان الخيل والثيران والغنم والمعزى والكلاب وسائر ذوات الاربع تحلم وتدلُّ الكلاب على ذلك بنباحها . ثم قال انهُ مرتاب في ما اذا كانت الحيوانات التي تبيض تحلم ايضًا. ووافقهُ على ذلك بلميني في تاريخهِ الطبيعي. واشار وتسون الى ان الكلاب تصطاد في نومها وقال داروين في كتاب تسلسل الانسان" ان الكلاب والهررة والخيل وفي الارجح كل الحيوانات العليا حتى الطيور نفسها — بالاستناد على رأي الدكتور جردون في اطيار الهند — تحلم احلامًا واضحة وذلك يظهر من حركاتها واصواتها". وقال رومانس "ان حلم الكلاب حقيقةٌ يضرَب بها المثل". ومشى على ذلك كثيرون من العلماء الذين لا يسعنا عدُّهم وإثبات اقوالهم في هذا المعنى. وحسب رأيهِ تمسون ان من جملة الحيوانات التي تنهيج في حلمها الكناريّ والنسر والببغاء والفيل والفرس والكلب. وقال بهاء الدين العاملي في الكشكول (صفحة ١٣٤)" كل ذي جفن يُطبقهُ عند النوم قد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها واصواتها في النوم". وورد في الجزء الاول من مجلد هذه السنة من المقتطف جوابًا على سؤال عن حلم الحيوان الاعجم " يظهر من بعض الحركات التي تبدو على الكلاب وهي نائمة انها تحلم كالانسان"

ثالثًا. ان احلام العمي غاية في الاهمية وان المولودين عميًا لا يحلمون ابدًا على طريق النظر وهذا ثابت عن اشهر الباحثين المدققين ولم يسمع قط عن شخص وُلد اعمى وحلم

في نومهِ انهُ رأى. وقد فحص بعضهم نحو مئتي اعمى ذكورًا واناثًا فوجد بينهم اثنين وثلثين أُصيبوا بالعمى قبلما اكملوا الخامسة من اعمارهم وليس منهم من يرى في حلمهِ. ويروى نقلاً عن الاستاذ ستانلي في كلامهِ عن الفتاة لورا بردغمان العمياء والبكماء الصماء " ان النظر والسمع بعيدان عن احلامها بعدهما عن عالم الظلمة والسكوت الذي هي فيهِ "

رابعاً. ان المولودين صمًّا لا يحلمون انهم يسمعون في نومهم وذلك محقق ايضاً بامتحانات صحيحة ومشاهدات لا تقبل الرد

ومن كل هذا اي من تحقق حلم الحيوانات ومن عدم حلم المولودين عميًا وصمًّا بما ينظر ويسمع يؤخذ ان الاحلام ظواهر خارجيَّة للفكر منشأُها تغيرات في دورة الدم وحالة الدماغ والمجموع العصبي وان التصوُّرات الحلميَّة عبارة عن مجموع شعورٍ واختبارٍ وافكارٍ وصورٍ ذاتيَّة مذخورة في الذهن ويؤيد هذا إمكان تنويع الاحلام تحت شروط خارجيَّة وليس هذا بخافٍ على احد اذ من المعلوم ان قوى المخيلة تنشط في الاحلام الى التصرف بالشعور الخارجي بدون مساعدة القوة الحاكمة وكلٌّ منا يعلم ان احوال اعضاء الهضم ووضع الرأس او قسم آخر من الجسد تنتج احلاماً

ويضاف الى هذا ان احلام الشيوخ ما لم يسبقها او يصحبها تهييج غير اعتيادي تكون غالبًا عن مناظر عرضت لهم في السنين السالفة مشابهة لاحاديثهم عنها حتى انهُ في نفس الوقت الذي تكون فيهِ القوى العقليَّة غاية في الانتظام والرجل الطاعن في السن يباشر الدرس والتامل في النهار تحت سلطة الارادة ملتذًّا بمجرى الحوادث تعرض لهُ في الليل — حين ينشط التخيل من عقالهِ — مناظر ايام الصبا والطفوليَّة بصور اكثر تحققاً لديهِ من حوادث ايامهِ الحاضرة وهذا طبق ما يعرف عن نواميس الذاكرة

ايضاح صفة الاحلام

لا يشعر من يحلم بالوقت ولا يقدر ان يحدد الزمان وهذا يتضح من ان الحواس وحركات الاعضاء الخارجيَّة التي يقاس بها الوقت تكون موقوفة عن العمل ويكون الفكر بكليتهِ مشغولاً بالخيالات ويظن ان حركة الفكر في الاحلام تكون اسرع منها في اليقظة فالاحلام اكثر عددًا واشكالاً من الافكار التي تعرض في اليقظة ولكن من الخطإ ان يظنَّ ان التصورات الحلميَّة اكثر عددًا من التصورات العارضة في الذهول اذ انهُ في مدة ذهول ساعة واحدة قد يعرض للانسان صور اكثر من ان يسعها مجلد اما ما يظهر من فقد الوجدان في الحلم اي عدم معرفة الانسان نفسهُ واستحالة الحال عليهِ فسببهُ تحوُّل

القوى المدركة الى الاشتغال بصورةٍ واحدة في وقت واحد فحلم الانسان بانهُ صانع قد يتغير في الحال فيرى نفسهُ قائد حربٍ بدون ان يشعر بادنى تضاربٍ او تباينٍ حتى انهُ لا يبعد ان يتصور ذاتهُ شخصين في وقت واحد

وبهذه الاعتبارات يفسر جلاء بعض الاحلام ووضوحها فعند ما يرى الانسان بيتهُ ملتهباً بالنار وعائلتهُ في خطر ينظر الى هذا المشهد الهائل بنوع مجرد عن رؤية شيءٍ آخر غيرهُ كانهُ لا يبقى في دماغهِ غير صورتهِ وهكذا في الحلم اذ لا يرى غير صورة الشيء فلا بد انها تكون اوضح وأجلى

وكثيرًا ما تتجلى للنائم حوادث معروفة عندهُ لكنها منسيَّة فقد حقق كثيرون انهم رأوا في احلامهم امورًا كثيرة غير معلومة عندهم وبعد البحث وجدوا انهم كانوا يعلمونها ولكنهم نسوها . وقد تعرض للنائم رؤية حوادث مرَّ عليها عشرون سنة او اكثر فيراجع فيها جملاً واقسام كلام واصطلاحات ونغمات اصوات في دقيقةٍ واحدة من حلمهِ. وحينما يحلم الانسان ويشعر بانهُ في حلم كما يحدث غالباً يكون مقتربًا من اليقظة ولكنهُ ما دام غير مدرك الموضوع العارض لهُ في الحلم يكون في حالة تشبه حالة المستغرق في ذهول فيدرك انهُ ذاهل ويحقق ذلك لكنهُ لا يلبث حالاً ان يعود الى استغراقهِ في ما ينظرهُ ويشاهدهُ

واكثر الاعمال التي يرتاح الفكر الى الاشتغال بها اثناء الحلم هي نظم الاشعار وحل المسائل الرياضيَّة. قال الدكتور ابركرومبي ان الدكتور غريغوري اخبرهُ بان الافكار والعبارات التي خطرت لهُ في الأحلام كانت في غاية الاصابة حتى انهُ كثيرًا ما ذكرها في خطبهِ. وروى كوندورست انهُ طالما نام غير مكمل حل بعض المسائل العويصة ثم أتم حلها في حلمهِ. ويحكى عن بنيامين فرنكلين ان الحوادث السياسيَّة التي كانت تقلقهُ وتشوّش ذهنهُ يعلن لهُ حلها في الاحلام

وقد يعرض لنا ذلك ونحن مستيقظون فانهُ كم من مرةٍ حينما نضطر ان ننتقل من عملٍ الى آخر ليس من مسائل الذاكرة فقط بل من أدق التأملات العقليَّة ونكون متحيرين في التفكر على قدر ما يسمح بهِ وجداننا يتفق انهُ يعرض لنا على الفور فكرٌ مقارنٌ لاول مسألة اشتغلنا بها وهو غاية في الجلاء والوضوح ولم نكن من قبل نتوقع الهداية اليهِ فنضطر ان نقيدهُ واذ انهُ لا يُركن الى الذاكرة نجد الاولى بنا ان ننقطع عن الانشغال بغيرهِ فلا نلبث أن نرى الحقيقة تجلت لدينا كانها أُرسلت الينا من عالم الصدفة والاتفاق

وليس عجيباً أن الانسان عند ما يكون متعباً وقد كلَّت قواهُ العقليَّة يجد لديهِ بعد

نوم كاف من الافكار ما يتكفل بحل ما تصعّب عليهِ من شغل النهار . فالتصوّر الحلمي الذي تقضي بهِ مسائل كهذه يكسبها منظرًا سريًّا يتمشى عند حلها على مبدإٍ طبيعيٍّ في غاية القياسيَّة . فقد روى احد الثقات عن رجلين من بنسلفانيا في اميركا كانا يتحادثان في شأن مسألة رياضيَّة عويصة فاهتدى احدهما الى حلها بطريقة جبريَّة وقال الآخر بامكان حلها بطريقة حسابيَّة وبعد ان بذل جهدهُ في ذلك ولم يفتح عليهِ تركها واضطجع لينام وفي الصباح اخبر صديقهُ بانهُ بينما كان نائمًا ظهر لهُ استاذٌ اسكوتلندي كان معلمًا لهُ من قديم وقال لهُ قد اخجلني عجزك عن استخراج تلك المسألة التي يسهل حلها بالحساب وسأُريك الآن كيف يكون ذلك ثم قال انهُ فعل في الحال حسب اشارة ذلك الاستاذ ولما استيقظ في الصباح تصرَّف كما علمهُ معلمهُ في الحلم فحلها حلاًّ حسنًا

فقد كان هذا الحلم غريبًا جدًّا ولكن يسهل إيضاحهُ فان المسألة كانت عويصة وعسيرة الحلّ واذ كان الخجل قد أخذ من هذا الرجل كل مأخذ لعجزهِ عن حلها استغرق في نومٍ مزعج تخطر في بالهِ معلمهُ القديم وقواعدهُ الحسابيَّة وحينما حلم في نومهِ بهذهِ المسألة تصوَّر له حلها ولا اقرب من أن خيال الاستاذ الذي علمهُ من قبل جُلَّ ما يعرفهُ من الحساب ولا سيما في المسائل الصعبة تراءى لهُ يتخصص لديهِ الخجل الذي استولى عليهِ حين أعياهُ حلها وان التصوُّر أعلمهُ بكل ذلك وعليهِ فعوضًا عن حسبان حلم كهذا أمرًا فائق الطبيعة ينبغي بالاولى ان نعدهُ ليس فقط طبيعيًّا بل في غاية الموافقة لمجرى الحوادث العاديَّة

وللفكر في حالة اليقظة قوَّة على تخيل أغرب الامور المضحكة. لنفرض ان رجلاً ينظر امامهُ صخرًا كبيرًا فيمكنهُ أن يتصوَّر ان ذلك الصخر قد استحال الى ذهب ابريز ونقش عليهِ بحجارة من الماس انهُ يعطى جائزة لمن يحلُّ احجيَّةً . واذ انهُ مستيقظ فهو قادرٌ على ادراك الصخرين بوضوح الصخر الحقيقي وصورة الصخر الذهبي المنقوش بأحرفٍ من الماس ويعلم ان الاول حقيقي والثاني وهمي فان كانت القوى التي بها يحقق ذاتيَّة الصخر متوقفة عن الحسّ والتي تصوَّر بها الذهب والماس الوهميين عاملة فمن المقرَّر انهُ يصدق بالصخر الذهبي وفي هذه الحالة ان كان مستيقظًا فهو معتوهٌ وان كان نائمًا فهو في حلم وهكذا فان كان الحالم مشغولاً بتصوُّراتٍ تتراءى لهُ حقيقةً وانتبهت قواهُ التي بها يميز بين الاوهام والحقائق احاط في الحال علمًا بما هو فيهِ حتى ان ذلك التصوُّر وان بقي سائدًا يصبح لديهِ وهمًا لا حقيقة لهُ . وهذا يأتي مصداقًا لقول بعضهم في الاحلام :

« انها ليست سوى بنات الدماغ البطال . ونتائج الوهم والخيال »

(ستأتي البقيَّة)

مشاهد اوربا

١٦

معابد لندن

لا مشاحة في ان الامة الانكليزيَّة من اشد الامم الاوربيَّة تديناً واكثرها تصدُّقاً وأميلها الى نشر المذاهب التي تدين بها . وهي تجاهر بتدينها حتى تجد جدران الدار التي يجتمع فيها ارباب الحرف وهي المسماة بفيلد هول نسبة اليهم موسومة بالآيات الكتابيَّة التي تعزو الملك والقوة والقدرة الى الله وحده . وباب مجتمع تجارها الذي هو عنوان غناها وعظمتها مرسوم فوقهُ بحروف كبيرة قول داود النبي « للرب الارض وملؤها » اعترافاً منهم بانهم لا يملكون شيئاً من متاع الدنيا ولو كانوا اغنى اهلها وانما هم أُمناء عليهِ والمالك هو الله الذي اليهِ مرجع الامور . ويقال ان سفيراً من سفراء ملوك افريقية سأل الملكة فكتوريا بامر مولاهُ عن سبب عظمتها فأرتهُ نسخةً من التوراة وقالت قل لمولاك ان هذا الكتاب سبب عظمتي . وتصدُّق الانكليز مشهور حتى ان اهالي مدينة لندن وحدها يتصدقون كل سنة باكثر من خمسة ملايين من الجنيهات عدا الصدقات الخفيَّة التي لا يعلم مقدارها الاَّ الله

اما سعيهم في نشر الديانة المسيحيَّة فظاهر من ان جمعيَّة واحدة من جمعيَّاتهم الدينيَّة توزع في السنة اكثر من اربعة ملايين نسخة من التوراة مطبوعة في نحو ثلثمئة لغة وتنفق على ذلك نحو مئتين وخمسين الف جنيه وقد وزَّعت اكثر من مئة وعشرين مليون نسخة منذ انشائها سنة ١٨٠٤ الى الآن

ومعلوم انهُ نشأ في البلاد الانكليزيَّة أُناس كثيرون اشتهروا بالاعتزال والجحود كداروِن وهكسلي وسبنسر ونحوهم حتى اذا ذُكر اسم داروِن او غيرهِ من هولاء العلماء والفلاسفة قرَنهُ السامع بالكثر . لكن داروِن هذا كان من اشد الناس اكراماً للمرسلين الذين يدعون الى الديانة ومن اكثرهم تصدُّقاً وعاش عمراً طويلاً ولم يستطع احد ان يذكر لهُ شائبة ادبيَّة ولما مات حمل نعشهُ اكابر امراء السلطنة وعلمائها ومشى في